

المحاضرة رقم : 3

عنوان المحاضرة: قضايا الآداب العالمية المعاصرة

الحرية – الاغتراب – العدالة – السلام

المحاضرة رقم : 3

عنوان المحاضرة، قضايا الآداب العالمية المعاصرة

الحرية – الاغتراب – العدالة – السلام

توطئة:

خلصت الدراسات الأدبية الحديثة إلى انه منذ زمن الحضارات الغربية والشرقية القديمة الى غاية يومنا هذا ، الفقهية التربوية النفعية والنزعة الجمالية الانفعالية " ومن المعروف أن أفلاطون **Platon** قد نفى " هو ميروس **homère** من جمهوريته لأنه قد حدد معالم الفن بمقدار قيمته الاجتماعية، وقد ذكر في كتابه القوانين أن الفن يسهم في تكوين المواطنين ويقوي المجتمع .. ولذلك فانه من الواجب أن ترتبط الثقافة الفنية بالملحة الاجتماعية"¹ وهو الشيء الذي يجعل الأدبي والمبدع يعيش حالة من الحيوية والنشاط من خلال شعوره بعدم الرضى عن الواقع الذي يحياه من جهة، وسعيه لتجسيد واقع أفضل عن طريق الكتابة بدى من ذلك من جهة أخرى ، وهذا ما سيجعل الأدب حتما يلعب دورا حاسما في تكريس القيم الإنسانية الخالدة كقيمة الحرية، والعدالة والسلام وأيضا في بث الوعي الفكري والجمالي في الأوساط الاجتماعية ومن ثم التأثير في تشكيل رؤاها وقناعاتها. ونجد أفلاطون أيضا يؤمن بالانتقائية في الأدب " يرى أول واجب على الدولة في نظرة السيطرة على الذين يلقون الخرافات ... وإذا كان من الواجبات المقدسة الدفاع عن الوطن، فانه يجب أن يربى الشباب على الشجاعة، وان يستبعد من الشعر كل شعر يخذل من الموت ويث الرعب في قلوب الشباب ويدفعن إلى الحين"² أنها دعوة ضمنية إلى أن يكون الأديب صاحب فكرة رسالة يسعى إلى تحقيقها ويناضل من اجلها، فكرة ورسالة مؤداها تكريس إنسانية الإنسان، وتجسيد القيم الإنسانية النبيلة.

1- الحرية **La liberté**:

¹- رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية مصر، 1988، ص14.

²- المرجع نفسه، ص14.

شغلت قيمة الحرية حيزا هاما من اهتمامات المشتغلين بمجال الفكر والأدب حتى صارت بصفة بهما "... ينطوي مفهوم الحرية على دلالات متعددة، تقوم الحرية الاجتماعية على غياب الالتزام الاجتماعي عن الفرد، وتتجلى الحرية السياسية في ممارسة الطلاب بحقوقه السياسية كاملة فيها يظهر الحرية السيكولوجية في الاستقلال التام عن البواعث والمبررات الداخلية الغربية عن الفرد، وتقوم الحرية الأخلاقية على الاختيار بين الخير والشر، أما الحرية بالمعنى المتألف فتقابل الجبرية وتمثل في القدرة على الفعل "...³

وقد ساهم المتفلسفة المسلمون قديما في تطوير هذا المفهوم باعتباره روح الدين فبدون حرية تموت النفوس وتعتبر العزائم وتحتل القوانين وتعتبر المعتزلة أولمراقبة كلامية أعطت لهذا الموضوع الأهمية التي يستحقها، فكانوا بطل مرودا حقيقيين لهذا الموضوع، معتبرين أن احد معاني الحرية (او الاختيار) للإنسان هو كونه إن شاء نعل ورأى لم يشأ لم يفعل وهو مسؤول عن ذلك خطي مفهوم الحرية أيضا بحضور كبير في أدبيات العدي من التيارات الفكرية والأدبية المعاصرة فالليبرالية "... تركز على الحرية الفردية ترى أن الإنسان كامل الحرية في اختيار فكرة ومعتقدة وتعد الحركة الرومانسية على الشروط والمعايير الكلاسيكية الصادقة تعقيدا الحرية الإبداع فدعت إلى الحرية الفردية⁴

إن زعيم التيار الوجودي فيقول متحدثا عن الحرية " ... إن الحرية هي القدرة على الالتزام بالعمل الحالي وبناء المستقبل، وهي تخلق مستقبلا يتبع لنا فهم الحاضر وتغييره..."⁵

كرم الله الإنسان وحده بمكرمه العقل ليستطيع أن يختار بعد ذلك أو السيب يختار، أما الكائنات الأخرى فلا اختيار لها"... لكن الإنسان ويعرف النظر عن عوامل الوراثة والبيئة والزمان تبقى له الحرية، حرية محدودة نفسيا في اختيار مواصفه تجاه الحوادث مهما كان نوعها مصدرها .."⁶ ويحاول سارتزان يوضع هذه الفكرة التي سبق وان طرحها بقوله " لم اطلب أن أولد... لكن موقفني إزاء ولادتي(والمعبر عنه بالعار أو الأنفة، بالتفاؤل أو التشاؤم) يدل على أنني اخترت ولادتي بشكل آخر..."⁷ والاختيار في هذه الحال يتوجب المسؤولية.

إن قيمة الحرية لم تفكك ترتبط بالأدب وبالالتزام، فالكتابة الأدبية فعل حر، والحرية في هذه الحال لا تقصر على مرحلة الكتابة فحسب و أنها تجاوزها لتصل إلى مرحلة التلقي وهذا هو الإبداع الحقيقي، لكن الكتابة التي تأتي تحت الطلب... له تبت وتلفظ أنفاسها لأنها كتابة زائفة وغير حقيقية.

2 - الاغتراب L'aliénation: تنازلت الكثير عن الدراسات الأدبية والفكرية وخاصة الفلسفية منها موضوع

الاغتراب بالدراسة والفحص سقيا منها لضبط مفهومه، فقد ارتبط هذا المصطلح بالفكر الماركسي بشكل كبير، والمتبع لكتاب كارل ماركس **karl Marx** لا يجد عناء في العثور على معالم هذا الارتباط، لكن جذور هذا المفهوم تعود بحسب بعض

³-سهيل فتباني، الأدب سؤال الحرية يوم 22/08/28 على الساعة السؤال الحرية / arbie21.com/story/1216298

⁴- المرجع السابق.

⁵-محمد رأفت سعيد، الالتزام في القصور الإسلامي للأدب ط1، دار الهداية وللنشر للطباعة والتوزيع، مصر، 1987، ص5.

⁶-زبير دراني، مخاطر في الأدب الأجنبي، المرجع السابق، ص96.

⁷- المرجع نفسه، ص96.

الباحثين في هذا الشأن إلى الفلسفة الإغريقية، فأفلاطون **Platon** بحسب هؤلاء هو من وضع الأسس الأولى لهذا المفهوم من خلال إحساسه بالاغتراب عن المجتمع الذي كان يعيش فيه وسعيه الدائم إلى تأسيس صهوريته الفاضلة، كما أن الأنبياء والرسل جميعا عاشوا هذه الظاهرة النفسية فلقد عاشوا غرباء بين ظهرا في اقوا مهم صابرين ومتحبتسين على كل ما أصابهم أعراض وآذى ونجد هذا المفهوم "... يشكل أو بأخر في الكتابات الفلسفية والهوتية القديمة، وكذلك عند فلاسفة الإغريق القدامى، وأيضا يطالنا هذا المعنى في سفر التكوين في الدراما الإنسانية المتعلقة بخلق وسقوط وانفصاله عن جثة عدن، ويتمتع هذا المفهوم بحيوية عالية في الفكر الديني المسيحي...."⁸ إن الاغتراب بمفهومه الشامل يعبر عن اغتراب في الذات عن هويتها في الإنسان منذ الخلقية الأولى والخطيئة التي تبعتها .

يعتبر ماركس أن الاغتراب في شقة الاقتصادي " أصلا لجميع أنواع الاغتراب الأخرى ويتغذ مفهوم الاغتراب عنده معنى أعمق وهو الاتكثرت شيوعا وتأثيرا في الفكر المعاصر من أي مفهوم آخر، وربما يعود ذلك إلى بساطة ما يطرحه، وإلى ارتباطه بالواقع المبادي المباشر"⁹ ويرى ماركس أن اكرامات هذا الاغتراب سيفرط عقد : بانفراط عقد الملكية الخاصة ويؤكد كارل ماركسفي هذا الشأن على أمرين إنئين: أولا عندما يكون الإنسان في حالة العمل وبخاصة عندما يمارس هذا العمل في نطاق رأسمالي فانه يكون دائما في حالة اغتراب عن قواه الإبداعية.

وثانياشعوره بالاغترابنتيجة لإحساسه بأن وجوده هو من اجل الإنتاج بدى من أن يكون الإنتاج موجودا من أجله:¹⁰ لقد استمد ماركس مفهوم الاغتراب انطلاقا من التيار الرميسي الألماني بقصد به انفصال الإنسان عن البيئة الاجتماعية التي يعد جراء عنها، وقد تطرق ماركس إلى أنواع ثلاثة من الاغتراب:¹¹

1- الاغتراب الفلسفي L'aliénation philosophique: فيؤكد أن الفلسفة المثالية عامل اغتراب الفلاسفة، باعتبارها أن هذه الفلسفة تأخذ الحقيقة لتصورها في عالم معكوس، يقول ماركس، لقد أخذت من هيجل الديالككتيك الذي كان يمشي على رأسه ووضعيته على رجليه.

2- الاغتراب الديني L'aliénation religieuse: حيث يدعى ماركس بان الفرد، بواسطة الدين، يعيش في عالم وهمي، عالم غير موجود ولهذا السبب يعتبر معتبرا في عالم قد خلقه بنفسه.

3- الاغتراب الاقتصادي L'aliénation économique: الذيقترب من الاغتراب السياسي ، فيقول بان المنتج في عالم الإنتاج الرأسمالي، أو العامل يعتبر منفصل عن الشيء الذي ينتجه حيث انه يبيع قوة عمله وان فردا آخر يملكها كمجرد سلعة أو بطاعة أن هذا التفريق أو الفصل يدعى بالاغتراب وقد شهد عشرينيات القرن الماضي بروز الكثرة من التيارات الفكرية والأدبية التي تمثلت موضوع الاغتراب ولعل تيار العبث **absurde** بزعامة الفيلسوف الوجودي ألبيركامو: أحسن من تمثل هذه الأثيمة خاصة في أعماله الأدبية الواقعة في دائرة العيش كأسطورة سيزيف **Le Le mythe de sisyph** (1942) التي

⁸-قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا، مجلة عالم الفكر، المجلد10، عدد1، 19 الكويت،19.

⁹- بوعملان أمينة، مصطلح الاغتراب في الفكر الغربي والفكر العربي مجلة انثروبولوجيا الأديان، مجلد9، عدد 2، 2013، ص215.

¹⁰- بوعلاماتأمينة: مصطلح الاغتراب في الفكر الغربي والفكر العربي، مرجع السابق، ص216.

¹¹-حسن ملحم، التفكير العلمي والمنهجية، مطبعة وحلب بن كنون ، الجزائر/410،ص409.

حاول فيها كاموا أن يجيب عن السؤال الفلسفي الذي تضمنته: هل يمكن للانتحار أن يكون ردا عن العيش ليصل إلى نتيجة مفادها بعد حكم الآلهة على سيزيف يحمل الصخرية إلى قمة الجبل وإعادة العملية كلما موت الصخرة إلى أسفل، أنه على الإنسان أن يعطي قيمة لكل ما يفعله في هذه الحياة الدنيا مهما كانت طبيعة هذه الأفعال وان تحول فعل الإدانة إلى فعل حر، هذا ما سجعلنا نشعر بالقدرة على الاستمرار ومواصلة المشوار ودحرجة صفرتنا بشكل مستمر دون كلل او ملل.

ورواية الطاعون التي يفتح السرد فيها باعثة لينتهي بالتمرد ورواية الغريب يحكم عليه بالإعدام لا لقتله ذلك العربي الذي لا يذكر له اسم في الرواية وإنما عدم حضور جنازة والدته بشكل ضمني ولم يكبيها ويعيش مغمراته العاطفية في اليوم التالي يشكل عادي ضاربا عرض الحائط بكل القوانين والأعراف الاجتماعية .

كما جسدت أعمال الأديب الرومانسي الفرنسي "أوجين يونيكسو Eugène Inesco خاصة تلك التي كتبها في مسرح العبث، مفهوم الاغتراب وكذلك أعمال سهويل بيكين Samuel pecket التي يمكن تنزيل البعض منها ضمن ما يطلق عليه بمسرح العبث، لعل أهمها مسرحية في انتظار قة در En attendant Godot جووبولسارثر هو الآخر وظف في أعماله الروائية منها أو المسرحية شخصيات تائهة منعزلة يشوبها القلت الوجودي ومن ذلك بطل مسرحية الذباب الذي قال سارتر على لسانه: " ما كان يجب أن تحتلني حرا، وبمجرد من أن خلقتي حرا خرجت من مللك وليس هناك في السماء، أو في الأرض من يأمر في ، لن ارجع إلى قانونك فانا محكوم على بان لا قانون لي عدا قانوني الخاص ذلك أنني أنساه أن يبتكر طريقة وحده¹² هكذا اورست ابن اغامون..... بطل هذه الرواية معلنا أن أوامر أو قواعد تفرض على الإنسان من خارج ذاته .

أما في أدبنا الجزائري، فان أفضل من تمثل هذه القيمة هو ذلك الأدب الذي كتب بغير لغته الأصلية مكرس فكرة الاغتراب اللغوي والتعاطي، تقول الباحثة الفرنسية المختصة في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية جاكلين أرنو Jacqueline Arnaud عن هذا الموضوع : يقو عمروش، ميمي ، حداد كاتب، انطلاقا وجع داخلي بوجود قطيعة هوياتية حقيقية، لا استطع أن ابكي إلا بالقبائلية ، يقول عمروش، أن اللغة تفصلي عن وطني أكثر مما يفصلي عنه البحر المتوسط ، يؤكد ما لكل حداد سنة 1961 ويضيف " إن اللغة الفرنسية هي متفاني"¹³ La langue française est mon exil.

4 – العدالة والسلام :La justice et la paix

تعد قيمتي العدل والسلام من القيم الإنسانية النبوية التي سعى الإنسان منذ الخليفة الأولى أن يتحقق بها ويتمثلها في حياته اليومية، كما تضمنت الكثير من الأعمال الأدبية هاتين اليتيمين المكرستين للكرامة الإنسانية عبر التاريخ.

جاء في لسان العرب لابن منظور " أن العدل هو ما قام في الفهرس انه مستقيم"¹⁴ إن العدالة تعني فيما تعنيه النظرة الى الاشياء بتوازن وتمرد والحكم بين الناس بالإنصاف إعطاء المرء ماله والأخذ منه ما عليه.

¹² - دراقى زبير، محاضرات في الأدب الابين، المرجع السابق، ص96-37.

¹³ - ترجمة الباحث

¹⁴ - ابن منظور، لسان العرب ج11، دار المعارف ، مصر ، ص430.

اختفت الكثير من الأعمال الأدبية العالمية المعاصرة بقيمة العدل والسلام، ولعل أحسن ما وظف ما بين المصطلحين هم الأدباء الروس منذ الثورة البلشفية سنة 1917، فقد حملت هذه الثورة بوادر التغيير والحرية بعد معاناة كبير عاشها الشعب الروسي في ظل الحكم الإمبراطوري الروس من انخزاعات عسكرية وفشل اقتصادي وعدم الاستقرار السياسي بكسب هذه الأحلام والآمال في مجتمع تسوده الحرية والعدالة الاجتماعية سراعان ما تبخرت بتحول هذه الثورة إلى نظام قمعي توسعي موظفا كل أنواع البطش والتكتيل وفتحه لانسع لهم المحتشدات (محتشد الغولاغ **gulag** بأمر من فلاديمير ليسين في ظل الحكم الستالين وتنبأ الروائي العالمي فيدور دوستويفسكي في رواية الشياطين بمالات الثورة البلشفية وسليباتها قبل .

قبل وقوعها، الشيء تسبب في منع صجورها أباه الحكم الشيوعي .

وفي هذه الرواية يطلق " دوستويفسكي " العنان للنسب لعبروا عن أمالهم وأحلامهم في أن تحقق ثورتهم هذه الأهداف التي لأجلها قامت وعلى رأسها العدالة الاجتماعية والقضاء النظام .

كما كان الموضوع السلام أيضا نصيا كبيرا من الاهتمام لدى الدوائر الروسية، وتعداوية ليو تولستوي أحد أعظم الروايات العالمية التي تناولت نعيمة السلام، وقد مزج تولستوي في كتابتها بين الواقعية والخيال حتى أن البعض من القراء لا يقوى على التمييز عن قراها- بين ما هو واقعي وما هو خيالي، ومن هنا تأتي عبقرية هذا الروائي الغد، وتدور أحداث هذه الرواية في بداية القرن التاسع عشر اثر احتلال نابليون لروسيا ووصوله والعاصمة موسكو، لكن دها الجنود الروس مكنهم من أن يلحقوا بيو نابرت وجيشة هزيمة تكراء بعد أن انتظروا قدوم فصل الشتاء الذي لا يقوى على تحمله سوى الروس أنفسهم، تنتهي السرد بان يعم السلام بين قيصر روسيا ونابليون.